

ستة تحديات أمام الثقافة العالمية

وبعيد التاريخ، غالباً ما تشهد كيف أدت الأزمات الكبرى إلى نهضة الثقافة وتفتق أشكال جديدة من الإبداع، التي تعد مسألة حيوية جداً للتقدم البشري. لثلاثة أرباع الصراعات الكبرى في العالم أبعاد ثقافية. لذا فإن جسر الهوة بين الثقافات هو مسألة ضرورية ودرجة لتحقيق السلام والاستقرار والتنمية.

ويشكل التنوع الثقافي قوة محركة للتنمية، ليس على مستوى النمو الاقتصادي فحسب بل أيضاً كوسيلة لعيش حياة فكرية وعاطفية ومعنوية وروحية أكثر اكتمالاً، وهو ما تنص عليه الصكوك الدولية التي تنظم مجال التراث الثقافي، والتي تتيج ركيزة صلبة لتعزيز التنوع الثقافي. من هنا، يعتبر التنوع الثقافي ميزة ضرورية للحد من الفقر وتحقيق التنمية المستدامة. في الوقت عينه، يساهم القبول بالتنوع الثقافي والإقرار به - عبر الاستعمال الإبداعي للتكنولوجيا والمعلومات والاتصالات بشكل خاص - في خلق الحوار بين الحضارات والثقافات وفي بلوغ تبادل الاحترام والتفاهم.

أغلب الصراعات في العالم لها أبعاد ثقافية لذا فإن جسر الهوة بين الثقافات هو مسألة ضرورية لتحقيق السلام

ويعود تاريخ الاحتفال باليوم العالمي للتنوع الثقافي إلى العام 2001 حين اعتمدت اليونسكو الإعلان العالمي للتنوع الثقافي، وفي ديسمبر 2002، أعلنت الجمعية العامة في قرارها 57/249 يوم 21 مايو يوماً عالمياً للتنوع الثقافي للحوار والتنمية. وفي عام 2015، اعتمدت اللجنة الثانية للجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع مشروع القرار بشأن الثقافة والتنمية المستدامة، الذي أكد مساهمة الثقافة في الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة، ومعتزفاً كذلك بالتنوع الطبيعي والثقافي للعالم، وعبر عن إدراك قدرة الثقافات والحضارات على الإسهام في التنمية المستدامة واعتبارها من العوامل الحاسمة في تحقيقها.

باريس - يحتفل العالم في 21 مايو الجاري بـ"اليوم العالمي للتنوع الثقافي من أجل الحوار والتنمية"، حيث يشكل التنوع الثقافي قوة محركة للتنمية، ليس على مستوى النمو الاقتصادي فحسب بل أيضاً كوسيلة لعيش حياة فكرية وعاطفية ومعنوية وروحية أكثر اكتمالاً.

وتحتفي دول العالم بالتنوع الثقافي في 21 مايو من كل عام، وهي المناسبة التي أقرتها هيئة الأمم المتحدة بهدف تشجيع الحوار بين جميع الحضارات والثقافات على أسس الاحترام والتفاهم.

وهذا العام يترافق الاحتفال بهذه المناسبة مع نقاشي جانحة كورونا في مختلف دول العالم، حيث أبرزت هذه الأزمة بوضوح عمق التفاوت القائم بين شرائح المجتمعات وعرضة تلك المجتمعات لبرمتها للخطر.

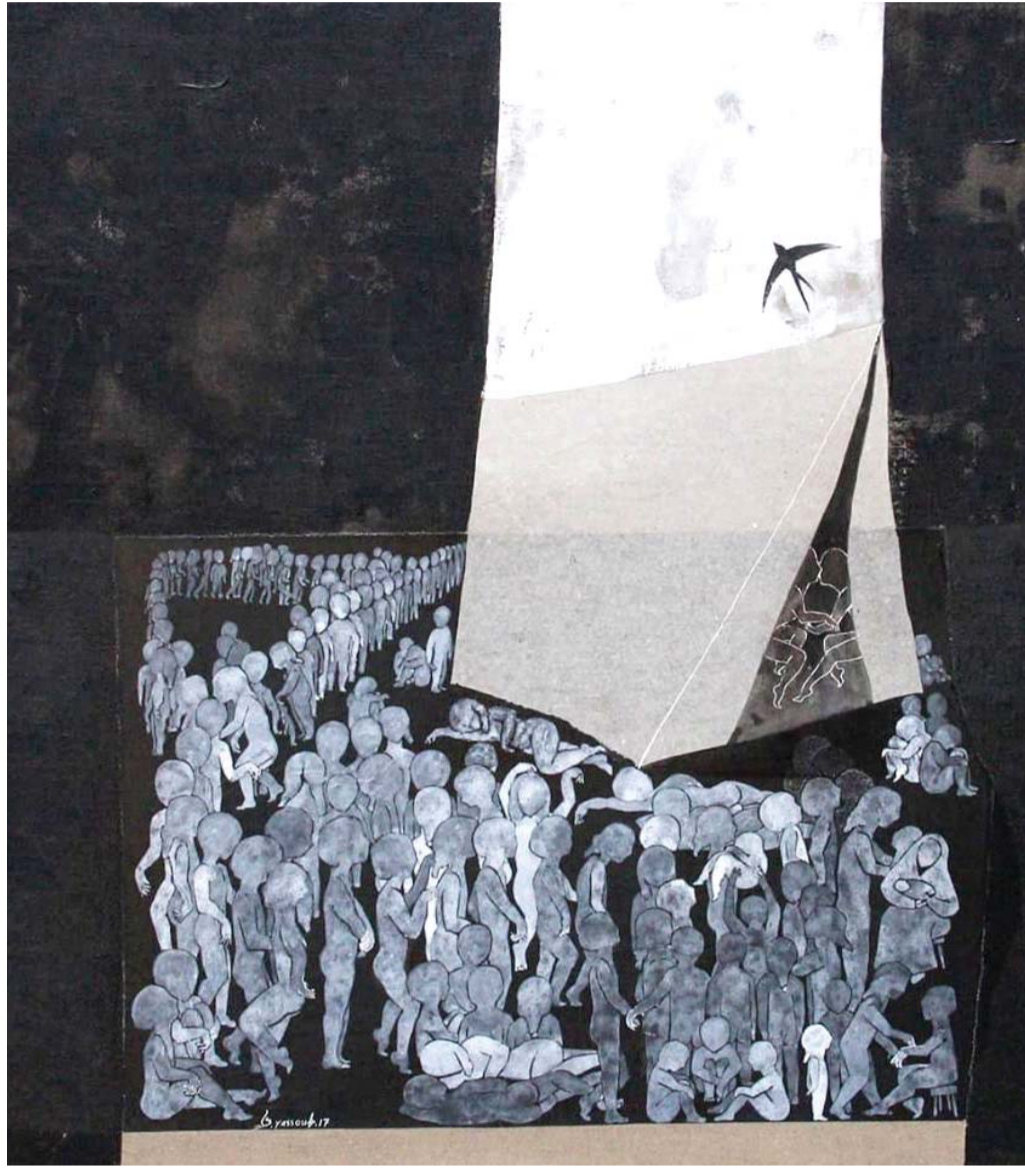
وقد رصدت الأمم المتحدة في تقرير بثته عبر موقعها الرسمي 6 تحديات يواجهها القطاع الثقافي حول العالم مع نقاشي جانحة كوفيد - 19 اشتملت على إلغاء وتعليق المناسبات والممارسات الثقافية المجتمعية، وإغلاق المؤسسات الثقافية حول العالم، وإسراع مواقع التراث العالمي لليونسكو، وزيادة خطر نهب المواقع الثقافية، وعجز الفنانين عن دفع أثمان ورسوم احتياجاتهم ونفقاتهم، وتأثر قطاع السياحة الثقافية.

ووفقاً للتقرير فإن الصناعات الثقافية ترصد الاقتصاد العالمي بما يزيد عن 3 في المئة من إجمالي الناتج المحلي العالمي، فضلاً عن إتاحة ما يقرب من 30 مليون وظيفة في أرجاء العالم وهو ما ينذر بتداعيات كبيرة للجائحة على هذا القطاع.

ورغم الظروف الاستثنائية التي فرضها التوقي من انتشار فيروس كورونا، فقد ساهمت إجراءات العزل الاجتماعي في تحول الملايين من الأشخاص إلى الثقافة كمصدر للمعرفة والترفيه والإطلاع، وشهدت عملية إنشاء المحتوى الثقافي والوصول إليه عبر الإنترنت زيادة كبيرة، ابتداء من الزيارات الافتراضية إلى المتاحف وصالات العرض السينمائية، ومروراً ببث الأفلام والمسلسلات الثقافية، وبروز النقاشات والتجمعات الثقافية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، الأمر الذي أكد دورها الأساسي بوصفها مصدراً للمرونة المجتمعية.

فرق كبير بين جهل العوام وجهل العلماء والمفكرين

ألان كوربان يقف على ما في التجربة الإنسانية من انتصارات وانتكاسات



المعرفة تقود إلى الحرية (لوحة للفنانة ريم ياسوف)

أفقا يصعب تجاوزه بصفة نهائية، فالعلم لا ينفك يزبل بعض غشاوته ولكن دون أن يزيله تماماً، رغم أنها مرحلة تميزت بالتخلي تدريجياً عن المعتقدات التقليدية حول الظواهر الطبيعية، وظهور اكتشافات واختراعات غير مسبوقة. والكاتب لا يتبع خطية زمنية لمعاينة تقدم أخذ بعضه برقباء بعض، بل يكسرها متوخياً عملية عود على بدء اللوقوف على ما في التجربة الإنسانية من انتصارات وانتكاسات، فقد جعل بحثه يتقدم وفق خطة كرونولوجية وثنيمية، فجمع ثلاث مراحل في ثلاثة أبواب: النصف الثاني من القرن الثامن عشر، مرحلة 1800 - 1850، ومرحلة 1860 - 1900، وهي مراحل تتجلى فيها حركة معارف غير منتظمة، وتتناولها الفصول لطرح جملة من الأسئلة تكاد تكون هي نفسها عن عمر الأرض وبنيتها، وعن الأعماق البحرية، وجبال الجليد، والشهب والنيازك، ولاحظ أن السابقين كانوا يصيرون حيناً ويخفقون حيناً، ويضلون سواء السبيل في أحيان أخرى.

ولذلك اختار كوربان الانطلاق من الجهل سعياً وراء المعرفة، وفي رأيه أن ذلك مسار نحرر يسمح للإنسان بتقدير وجوده حق قدره، والسيطرة عليه، خلافاً للمجاهل الذي يسلم أمره للتجربة الآتية، فينقاد للأحداث تسيره. فالتاريخ للجهل يمكن أن يلامس الفرع المزروع الذي يقابل ما يعترينا أمام عدم المعرفة بفرعنا أمام سعة المعرفة.

وجملة القول إننا نجهل أشياء كثيرة، ونعيش في ظلمة لا نقدر سعتها، لا نعرف عن أنفسنا وعن الأمراض وعن كوكبنا وعن الكون إلا القليل، وكلما حقق الإنسان فتحاً علمياً باهراً، أو ازداد وعياً بحيطه ومكوناته، اكتشف أن ما يجهله أكثر مما يتصور. وهو ما لخصه إسحاق نيوتن في قوله "معارفنا قطرة، وجهلنا محيط".

يجهل أشياء كثيرة، وأعماق البحار والمحيطات كانت مجهولة حتى منتصف ذلك القرن، والجزء الأعلى للغلاف الجوي لم يقربه الإنسان حتى بداية القرن العشرين، ولئن تحققت إنجازات علمية كثيرة في عصر الأنوار وبداية الثورة الصناعية، فإن معارف ذلك العصر كانت محدودة، بل إن موسوعة ديرو ودالمبير لم تقدم إجابة عن ظواهر طبيعية كثيرة كالزلازل والبراكين، ولم تزد شيئاً ذا بال على معرفة العوام، التي كانت لا تزال تحتكم إلى الموروث الديني. فالسرديات الدينية حول خلق العالم والطوفان وتفاصيل أخرى للتولوجيا الطبيعية كانت أجوبة بديلة لعدم ونشوق العلم؛ والجهل، لكونه يتيح صلة بجلال الإله وفتنة الطبيعة ومشاعر النفوس، كان يحذ من المعرفة، وهو ما يسميه كوربان "غواية الغامض".

تزال تحتكم إلى الموروث الديني. فالسرديات الدينية حول خلق العالم والطوفان وتفاصيل أخرى للتولوجيا الطبيعية كانت أجوبة بديلة لعدم ونشوق العلم؛ والجهل، لكونه يتيح صلة بجلال الإله وفتنة الطبيعة ومشاعر النفوس، كان يحذ من المعرفة، وهو ما يسميه كوربان "غواية الغامض".

كتاب «أرض مجهولة» يروي الصعوبات العديدة التي اصطدم بها الإنسان كيكتشف أسرار الكوكب ويواصل رحلة المعرفة

طوال آلاف السنين، لم يكن البشر يعرفون شيئاً تقريباً عن الأرض. كل فئة تكتفي باوطانها ومناظرها الطبيعية وقراها، وعندما ظهرت الخرائط ظلت مناطق عديدة تبدو تحت لافتة "أرض مجهولة" لم تطأها قدم الإنسان، ولا يعرف ما فيها وما عليها، ولا ما فوقها.

ومن ثمّ كان تركيز الكاتب على الأرض وأسرارها، ولكن في فترة محددة، هي الفترة الممتدة بين 1750 و1900، ليتوقف عند ما أمحن من الغاز وما بقي، غايته أن يكتشف الثابت والمتحول في أنماط إقامتنا في العالم. أنماط يتبدى فيها الجهل

يتولد عن خطأ منطقي، أو انحراف الفكر أو عدم المعرفة.

في استعارة الكهف، يقدم أفلاطون تصوراً لطبيعة الإنسان في علاقته بالمعرفة والجهل، فمسعى الفيلسوف الباحث عن الحقيقة يتمثل أولاً في أن يعي جهله، بوضع مسافة بينه وبين الأفكار المسبقة، ثم يتعلم التمييز بين ما هو واقعي وما هو وهمي، ليسمو تدريجياً نحو عالم الأفكار باستعمال

المهيجية الجدلية. وعندما يصف، في الكتاب السابع من "الجمهورية"، الكهف الذي جعله استعارة لمبدأ المعرفة، يضع الجهلة في وضعية سجناء، مقيدون في عمق الكهف، وقد حكم عليهم ألا يروا إلا ظل الواقع، دون أن يعرفوا إن كان ذلك هو الواقع. هم في حالة جهل، سجناء أو هام لا يستطيعون تجاوزها، بسبب ذلك الجهل. أي عدم معرفة المرء العالم أو الأفكار معناه بقاءه حبس تصور خاطئ للعالم.

غير أن أرسطو يعتقد أن "كل البشر بطبيعتهم يرغبون في المعرفة"، وهي جملة استهلاكية في "الميتافيزيقا"، فتحت تاريخ رغبة المعرفة التي شغلت الفلسفة منذ العصور القديمة، ماذا يمكن أن نعرف؟ هل يوجد شيء ما في ما وراء التجربة التي حزننا؟ ما دور الإحساس والذاكرة والعقل؟

تلك الأسئلة الفلسفية يثيرها كتاب "أرض مجهولة" للفرنسي ألان كوربان. هذا المؤرخ اعتاد أن يسير في سبل غير التي سار عليها أهل الاختصاص، فبعد أن تناول الروائع والأصوات والسماء والبحر والغيوم والصمت والشجر والعشب، اختار هذه المرة أن يتناول قضية المعرفة، ولكن من زاوية غيابه، أي الجهل. فالطريف أنه لا يقدم هنا تاريخ ما يعرفه الإنسان بل ما لا يعرفه، ويبحث في جانب الخيال فيه والأسطورة والخوف أيضاً.

مسار التحير

الكتاب يروي الصعوبات العديدة التي اصطدم بها الإنسان كيكتشف أسرار الكوكب، فعلم الأرصاء الجوية في مطلع القرن العشرين مثلاً كان

كلماً تقدم العلم وازدادت قدرة الإنسان على قهر المجهول، ازداد وعيه بما لا يعلم، وكلما اتسعت دائرة المعرفة أمامه، ازدادت اتساعاً دائرة ما يدرك أنه لا يعرفه، فما تطوّر المعرفة إلا وسيلة كي نعرف منتهي جهلنا، ولكنه جهل نسبي، لا يستوي فيه كل الناس، فشقان بين من يعرف أنه جاهل، ومن يجهل أنه جاهل.



أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

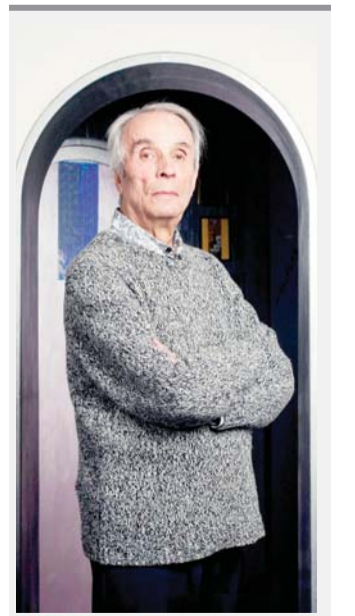
يمتاز الإنسان بمعارفه، ولكنها ليست معارف فطرية، بل هي مكتسبة، إذ يفني سنوات من عمره كي يمتلكها، بصعوبة في العادة، وضد إرادته في أغلب الأحيان، لأن معرفة الشيء لا تخلق الاطمئنان بالضرورة، والإنسان العادي يفضل أن يكون مرتاح البال، خالي الذهن، على أن يجهد ويشقى، إلا في حال تأمين وجوده.

وقد يجد تلك الراحة إذا أسدل على وعيه ستائر الجهل، واكتفى بما يضمن عيشته، لأنه يؤثر حياة الذعة والمتع واللامبالاة على حياة يسهر خلالها اللبالي الطوال بحثاً عن ضالة قد لا يعرف بالضبط ما هي، أو لا يتبين شروط بلوغها.

بيد أنه لا يملك غريزة متطورة، كما هي الحال عند الحيوان، كي يهتدي إلى مكانه في الطبيعة بيسر ويتجنب المخاطر، فالحيوان يشم ما سوف يكون طعامه دون صعوبة تذكر، بينما يضطر الإنسان إلى أن يجرب، ويتثبت، ويذكر، لأنه يشتغل وفق سلسلة أخطاء تستغل في ذاكرته باطراً، فيستحضرها لتجنب تكرارها، والاستفادة منها لتجنب الوقوع في أخطاء أخرى. وذلك ما يدفعه إلى الأخذ بأسباب المعرفة، ولو على مضض.

الجهل والمعرفة

وليس جهل العوام كجهل العلماء والمفكرين، فالأول يخص أناسا تسعى في الأرض بغير غاية، وتعزو ظواهر الكون إلى قوة إلهية، لا شأن لها بها، والجهل هنا هو البون الفاصل بين الواقع وتصوّرنا إياه. هذا البون قد يكون ناجماً عن فكرة مسبقة أو وهم محض، بينما الثاني هو من سمة الباحثين عن الحقيقة، حيثما كانت، يقضون أعمارهم بحثاً عنها، متوسلين بما حازوا من معارف السابقين، وبما أوصلهم فخرهم إلى ابتكاره. والجهل في هذه الحالة قد



ألان كوربان يبين ما أمحن من ألغاز وما بقي، غايته اكتشاف الثابت والمتحول في أنماط إقامتنا في العالم

ماجد كيالي يحل التجربة الوطنية الفلسطينية

على مراجعة التجربة العسكرية، لكونها حكمت التجربة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، من مختلف جوانبها، بطريقة نقدية، موضوعية ومسؤولة.

وجدير بالذكر أن الكاتب كان عرض أغلب الأفكار والاستنتاجات المتضمنة فيه في العشرات من المقالات والدراسات، طوال العقود الثلاثة الماضية، كتحاليل، أو كوجهات نظر، بيد أنه ما يميزها اليوم أنها أضحت مسنودة أو مؤيدة بالتجربة.

ويعتبر الكتاب جزءاً من مشروع نقد التجربة الوطنية الفلسطينية الذي كان الكاتب اشتغل عليه، في كتابه "الثورة المجهضة... قراءة نقدية في إشكاليات التجربة الوطنية الفلسطينية" (صدر في العام 2013 عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، و"فتح 50 عاماً، قراءة في مآلات حركة وطنية"، و"مركز العربية للدراسات والنشر، ومركز "مسارات".

بيروت - صدر للكاتب الفلسطيني ماجد كيالي مؤخراً كتاب "نقاش السلاح.. قراءة في إشكاليات التجربة العسكرية الفلسطينية"، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت بالاشتراك مع مكتبة "كل شيء" في حيفا.

والكتاب مخصص لنقاش مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني، باعتبارها، بحسب الكاتب، من أعقد المواضيع، وأصعبها، بما لهذه القضية من مكانة في تاريخ الفلسطينيين، وما تحملته من معان، وما تخزنته من معاناة وتضحيات وبطولات، ولأن تلك المسيرة ظلت بمثابة صندوق مغلوق يحرم فتحه، أو إخضاعه للنقد والمساءلة، مع إبقاء وقائع تلك المسيرة من دون سجلات أو وثائق أو إحصائيات.

يثير الكتاب مشكلة مفادها أنه رغم مرور 55 سنة على تلك التجربة فإنها ما زالت تفتقد لأي بعد تأسيسي أو تنظيري لها، لذا انشغل في هذا الكتاب بالتركيز

